د.عفاف طبالة .. مبدعة أدب الأطفال

١٢يوليو ١٩٤١ ــ

أ.هيام حمدى العناني

كبير باحثين بمركز توثيق وبحوث أدب الطفل

حياتها

الدكتورة عفاف طبالة مخرجة وثائقية ومنتجة تلفزيونية مصرية، ومؤلفة أساسًا لأدب الأطفال، وُلدت في القاهرة في ١٢ يوليو ١٩٤١ لأسرة من الطبقة المتوسطة. ارتبطت حياة الدكتورة عفاف طبّالة بحالة كفاح شديدة الخصوصية، بحيث نستطيع الجزم بأنها أعطت النموذج الأمثل لكيفية قيام المرأة المصرية والعربية بإثبات الجدارة وتحقيق الذات، حتى في أصعب مراحل العمر تحديًا ونضوجًا؛ فلم تكن لتكتفي بمجرد الحصول على شهادة الليسانس في اللغة الفرنسية وآدابها من كلية الآداب، جامعة القاهرة، ثم درجتي الماجستير والدكتوراه

في الإعلام من ذات الكلية، بل إنها بعد مشوارها الحافل بالدراسة النظرية، خاضت غمار العمل الإعلامي في مجموعة قنوات النيل المتخصصة، وبالتحديد كرئيسة لقناة النيل للدراما في الفترة من ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠١.

ولم تكن الدكتورة طوال هذه الفترة مكتفية بالمزج بين النظري والعملي في مشوارها العلمي والأكاديمي، إنما أمدت المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات والدراسات الإعلامية والثقافية، وكذلك بكتابات للسيناريو، بل وبأعمال تسجيلية مارست خلالها دور المنتج والمخرج، وحصلت من خلالها على جوائز كثيرة في مهرجانات مختلفة، منها أحد مهرجانات اتحاد الإذاعات العربية بتونس.

ثم تتفرغ الدكتورة بعد ذلك لتحدٍ جديدٍ من تحديات مشوار كفاحها، وهو التخصص في مجال أدب الأطفال، والذي نجحت فيه نجاحًا منقطع النظير؛ لتصبح إحدى رائدات الكتابة للطفل في مصر والعالم العربي، وذلك بشهادة الجهات المصرية والعربية والدولية المانحة للجوائز التي حصلت عليها، ومنها مؤسسة (آنا ليند) التابعة للبرنامج الإقليمي لأدب الأطفال العربي.

لم تختر الدكتورة عفاف طبالة طريق الكتابة للطفل من أجل الشهرة أو الانتشار، باعتبار أدب الطفل من الأبواب غير المطروقة بشكلٍ كبيرٍ في المجتمع المصري، وإنما سلكت درب الكتابة بمجرَّد أن فرضت جذوة الإبداع نفسها عليها، فقد بدأت التواصل مع الأطفال بالكتابة بعد سن الستين لتؤكد أن الحياة قد تبدأ حقًا بعد عمر الستين، وبعد هذا العمر كان القدر يخبئ لها الكثير والكثير، فقد فازت بجائزة الشيخ خليفة التربوية في مجال التأليف التربوي، بعد أن فازت في عام ٢٠١٠ بجائزة الشيخ زايد للكتاب، في فرع أدب الطفل.

قدَّمت الدكتورة عفاف في سن الخامسة والستين كتابها الأول المخصص للأطفال، وبرغم أنه كان العمل الأول، فقد فازت من خلاله بأهم جائزة عالمية لأدب الأطفال، وهي جائزة بولونيا لكتاب الطفل، تلك الجائزة الأثيرة التي يتمناها الغالبية العظمى من كتاب الأطفال على مستوى العالم.

تكتب د. عفاف للأطفال من أجل هدف واحد، هو تربيتهم على الخيال، فقد قالت في أحد حواراتها: "الخيال مهم لإثراء مخيلة الأولاد، وإلا ما كان للبشر الحلم، فالحلم موجود ومتاح ومباح"، وهي علاوة على ذلك تعمد من خلال كتابتها للأطفال أن تتجه لما بعد العقل،

وما فوق العقل، وتسعى دومًا إلى الجمع بين الخيال والعقل، أو الأسطورة والعقل، حتى تتفتّح مدارك الطفل على أفضل نحو.

أبرز أعمالها "السمكة الفضية"، و"سيكا موكا"، و"حلم جديد"، و"ورقات قديمة"، و"البيت والنخلة".

عملت في الفترة من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠١ في التلفزيون المصري، وهي أجهزة التلفزيون العامة الرائدة في الشرق الأوسط وأفريقيا. عملت كمخرجة، وكاتبة سيناريو، ومنتجة متخصصة في الأفلام الوثائقية خلال حياتها المهنية، كما شغلت العديد من المناصب الإدارية في التلفزيون المصرى في مجال التخطيط والبرمجة. وكان آخر منصب لها هو المدير التنفيذي لقناة النيل للدراما، أول قناة مواضيعية في العالم العربي، ومنذ عام ١٩٨٧، تدرس "طبالة" دورات في مجال الإنتاج التلفزيوني والإنتاج الوثائقي لطلاب المرحلة الجامعية والمهنيين الشباب في مختلف المؤسسات الأكاديمية، بما في ذلك جامعة القاهرة. ولها العديد من الأبحاث الثقافية والإعلامية وعندها عضوية العديد من لجان التحكيم، كما أن لها العديد من المؤلفات في مجال أدب الطفل.

بدأت طبالة في كتابة كتب للأطفال في عام ٢٠٠٥، في سن الـ ٦٤، تعاونت مع الرسام عدلي رزق الله لإنتاج أول كتاب لها "السمكة الفضية"، الذي حصل على جائزة "راجاتسي" من معرض بولونيا لكتب الأطفال، وهو من أهم جوائز كتب الأطفال على الصعيد الدولي، وجائزة مصر لأدب الأطفال (التي تسمى جائزة سوزان مبارك)، وهي أهم جائزة لكتب الأطفال على المستوى الوطني.

ومنذ عام ٢٠٠٥ نشرت (١٣) كتابًا للأطفال، ومجموعة قصصية قصيرة. وقد تعاونت طبالة مع مجموعة متنوعة من الفنانين مع أساليب وتقنيات مختلفة. وهي تكتب لفئات عمرية مختلفة، وحصلت على جوائز على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي. وقد تُرجِمت بعض كتبها من العربية إلى الانجليزية والتركية والكورية.

أعمالها

١. السمكة الفضية (قصة مصورة .. حتى سن عشر سنوات) جائزة سوزان مبارك، وشهادة تقدير من معرض بولونيا.

٢. سيكا وموكا (قصة مصورة .. حتى ١٢ سنة) جائزة سوزان مبارك، وقائمة شرف الإيبي.

٣. حلم جديد (قصة مصورة .. حتى ١٢).

٤. أوراق قديمة (ثلاث قصص قصيرة .. حتى سن ١٥ سنة) قائمة شرف معرض ١٠١ كتاب.

٥. البيت والنخلة (رواية للشباب .. حتى ١٨ سنة) جائزة الشيخ زايد.

٦. حنين (قصة مصورة .. حتى ٦ سنوات).

٧. العين (قصة مصورة .. حتى ١٢ سنة) جائزة "آنا ليند".

٨. شمس (قصة مصورة .. حتى عشر سنوات) قائمة قصيرة اتصالات.

٩. سيكون لي أصدقاء (قصة مصورة .. حتى سن ١٢).

١٠. دوم تاتا دوم (قصة مصورة .. حتى سن ١٠سنوات) قائمة قصيرة اتصالات.

١١. تراك تاتا تراك (قصة مصورة .. حتى سن ١٠).

١٢. هولا تاتا هولا (قصة مصورة .. حتى ١٠ سنوات).

١٣. عود السنابل (ميني نوڤل مصورة .. حتى سن ١٤ سنة) جائزة اتصالات.

١٤. أنشودة العودة (قصة طويلة مصورة .. حتى سن ١٢ سنة) قائمة قصيرة اتصالات.

١٥. فك شفرة (رواية لليافعين) جائزة خليفة التربوية.

١٦. رحلة لنبع جديد (قصة مصورة .. حتى عشر سنوات).

١٧. هروب صغير (رواية لليافعين).

١٨. النافذة (قصة مصورة .. حتى عشر سنين).

١٩. المتاهة (قصة مصورة .. حتى عشر سنين).

٢٠. رحلة الحروف العربية لليافعين، بالتعاون مع أ. هجرة الصاوي.

٢١. تراب السكة، مجموعة قصصية للكبار.

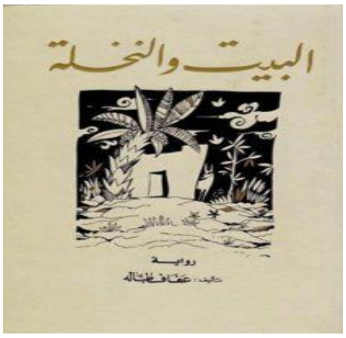

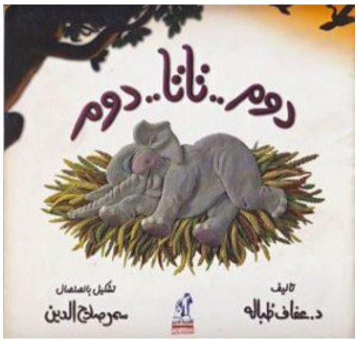

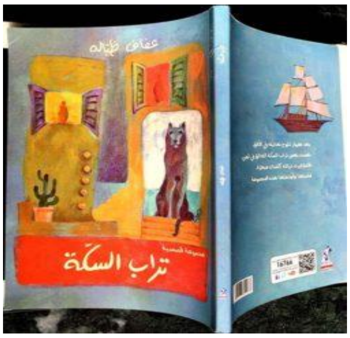

وهناك كتب موجهة لذوي الاحتياجات الخاصة، وكتب موضوعاتها عنهم وتستهدف القراء العاديين؛ بهدف تعريفهم بهذه الفئة، وكيفية التعامل معها. والنوعيتان نحتاجهما في كتب الأطفال. و"أنشودة العودة" أحد كتب د. عفاف التي تناولت فيها هذه الفئة؛ فبطلته صماء، وهو يخاطب كل ذي إعاقة أو نقص وليس بالضرورة الإعاقة البدنية، ويدعوهم بأن

يكونوا أكثر إيجابية، وأن يساعدوا أنفسهم ويحاولوا أن يندمجوا في المجتمع، وينضموا للسرب ليحلقوا به. وقد اختير هذا الكتاب ليكون في قائمة شرف المجلس العالمي لكتب الأطفال (IBBY ٢٠١٨).

في كتاباتها للطفل اختارت الجمع بين المطبوع للقراءة (الكتاب) والمطبوع للاستماع بصوتها (سي دي)؛ لأنه من وجهة نظرها أن المواد المرئية المسموعة أكثر اجتذابًا للأطفال وحتى الكبار، فهي أسهل في التلقي، ولا تحتاج لمجهود مثل القراءة. وعادة القراءة يجب أن تُغرس في الطفل منذ الصغر. ويزيد من مشكلة القراءة عندنا اختلاف اللغة الفصحى التي تكتب بها الكتب عن العامية التي يتحدث بها الأطفال. وتجربة عمل (سي دي) مرئي مسموع مصاحب للكتاب ما هي إلا محاولة للتعامل مع هاتين المشكلتين. فهدفه جذب الطفل للكتاب من خلال وسيلة يحبها ويميل إليها. فبدلًا من أن يكون هناك صراع بين الوسيلتين قمنا بعمل قران بينهما. ومن خلاله أمكن مساعدة الطفل على قراءة النص بالأسلوب الصحيح، وسهلت عليه عملية القراءة بالفصحى، تلك التي قد تقف حائلًا وعائقًا أحيانًا دون استمتاعه بالكتاب.

آخر ما كتبته هو رواية لليافعة بعنوان (فك شفرة) تتناول هذا الجيل الجديد الذي يجب أن نفهم أنه جيل مختلف، علينا أن نفك شفرته لنفهمه، هذا الجيل الذي وُلِدَ مع تكنولوجيا الاتصالات الحديثة مختلف تمامًا عن الأجيال السابقة، ويفصله عنها طفرات، فهذه الوسائل ستسمح له بعبور الاختلاف بين الثقافات دون قيود، ولا بد أن نتواضع، ونفهم أن علينا أن نتعلم منه.

الجوائز والتكريم

١. "السمكة الفضية" (٢٠٠٥ / ٢٠٠٦)، تم منحها ذكر في فئة "آفاق جديدة" في حفل توزيع جوائز "راجاتسي" المرموقة من معرض كتاب بولونيا لأدب الطفل (الجائزة الدولية الإيطالية).

٢. في عام (٢٠٠٦) فازت بجائزة مصر لأدب الأطفال (المعروفة آنذاك بجائزة سوزان مبارك لأدب الأطفال، جائزة وطنية).

٣. في عام (٢٠٠٧) تم اختيار كتاب "حلم جديد" كأحد العناوين الموزعة على (١٥٠٠٠) مكتبة في المدارس الابتدائية في (٢٧) محافظة في مصر تحت "مشروع الكتاب الوطني" الذي يدعمه برنامج المعونة الأمريكية (عملية الاختيار الوطنية).

٤. "سيكا وموكا" في عام (٢٠١٠) تم إدراجها في قائمة الشرف إيبي (التمييز الدولي).

٥. "دوم... تاتا... دوم" في عام (٢٠٠٨ / ٢٠٠٩) تم إدراجها في قائمة جائزة اتصالات لأدب الأطفال العرب (الجائزة الإقليمية).

٦. "أوراق قديمة" في عام (٢٠٠٩) تم اختياره كواحد من العناوين، وتم توزيعها على مكتبات المدارس المتوسطة في (٢٧) محافظة من محافظات مصر، في إطار "مشروع الكتاب الوطني" بدعم من برنامج (AID US) (الوطنية عملية الاختيار). وفي (٢٠١٠) تم اختياره من بين (١٠) كتب في قائمة شرف مؤسسة "آنا ليند" لكتب الأطفال في العالم العربي (الجائزة الإقليمية). وفي (٢٠١٢) تم إصدار ثالث قصص قصيرة في هذا الكتاب بعنوان "غرفة التخزين" من قِبَلْ وزارة الثقافة الأردنية في مهرجان مسرح الطفل في عمان.

٧. "البيت وشجرة النخيل" (٢٠٠٩ - ٢٠١١)، تم منحها جائزة الشيخ زايد المرموقة لأدب الطفل في العالم العربي، وهي قصة تقدم خطابًا أدبيًا متطورًا يخرج عن السائد في كتابة أدب الأطفال؛ إذ تحاول الكاتبة ترك مساحة للقارىء في مرحلة المراهقة يعيد فيها النظر في كثير من الموجودات حوله، وقد نجح الكتاب بأسلوبه السردي القصصي في فتح آفاق من الخيال تسمح لقارئه بأن يتلمَس تفسيرات عقلية تكمَل أحاسيسه الوجدانية والروحية". وفي عام (٢٠١٢) تم اختياره كتاب الشهر (يناير ٢٠١٢) في نادى القراء للمنتدى العربي للكتاب. ويعتبر المنتدى ونادي القراء من أنجح المحافل لتعزيز القراءة، وتحفيز التقدير النقدي في العالم العربي.

٨. "العين" في عام (٢٠١٠ / ٢٠١١) تم منحها جائزة أدب مؤسسة "آنا ليند" الطفل العربي. (الجائزة الإقليمية).

٩. "عود السنابل" في عام (٢٠١٣) منحت جائزة اتصالات المرموقة للأدب العربي للأطفال. (الجائزة الاقليمية)، وفي عام (٢٠١٦) رُشح الكتاب من قبل المجلس المصري على كتب للشباب لجائزة "هانز كريستيان أندرسن".

المصادر

- wiki, https://ar:Wikipedia.org
- albawabhnews.com
- https://www.marefa.org
- https://ranianews.com

- أحمد طوسون: "عفاف طبالة، سندريلا أدب الأطفال العرب"، الشرق الأوسط على الخط، ٢٠١٥/١/١٣.
- سميرة سليمان: "الفائز بجائزة زايد لأدب الأطفال: بدأت الكتابة بعد التقاعد". موقع محيت الجديد، ٢٠١١/٣/١٠.
- سمر إبراهيم: "عين عفاف طبالة بين الثقافة وقص القصص"، مدونة أحمد طوسون: الأدب والثقافة والفن، ٢٠ يناير ٢٠١٤.
- رانيا حسين أمين: "العودة إلى الوطن السحرية: رواية جديدة للكاتبة المصرية عفاف طبالة توفر شيئًا للقراء من جميع العصور". الأهرام ويكلي، كانون الثانى (يناير) ٢٠١٥.
- لبنى رضا: "جائزة أفضل كتاب للأطفال للعام ٢٠١٣"، المجلس المصري لدفاتر الأدب الشبابي، سبتمبر ٢٠١٤.